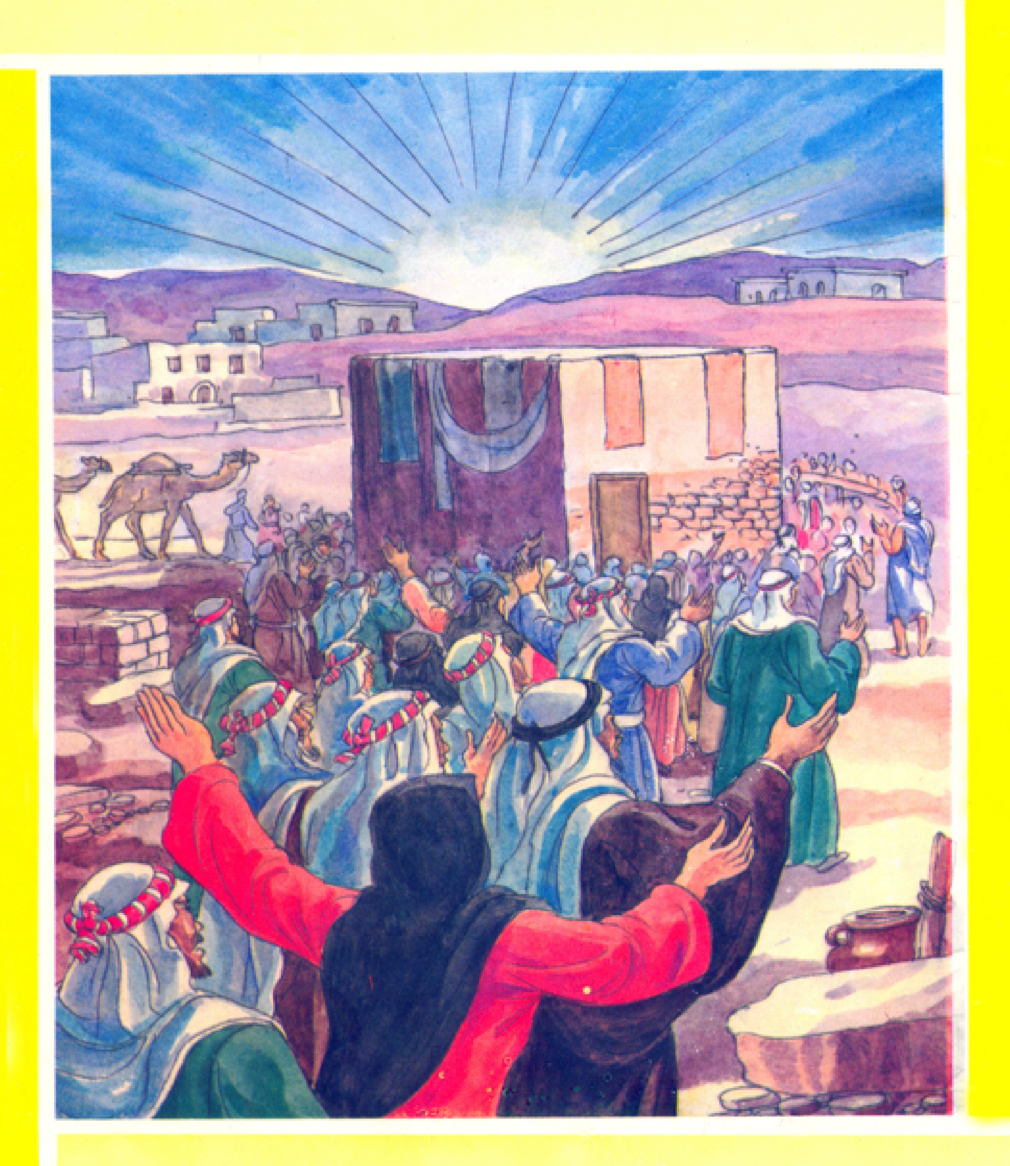
أطفالنا
في رحاب
القرآن
الكريم

آيات وقصة

فاصدع بما تؤمر

٦٨





رزق السيد هيبة

أطفالنا فى رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة
(٦٨)

فاصدع بما تؤمر

تأليف
رزق السيد هيبة

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
ت: ٢٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥
٦ أ شارع جواد حسنى - ت: ٢٣٩٣٠١٦٧
www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أطفالنا أمانة غالية، نعمة الله، أمرنا بالحفاظ عليهم، ورعايتهم بالتربية السليمة..

وهذه السلسلة ..

ـ تُربى أولادَنا تربيــة إسلاميَّــةً تعتمـدُ عَلَى هُدًى من كِتـابِ الله «القرآنِ الكريم» تعـرِضُ القصصَ عـلى حسَبِ ترتيـبِ المصْحَفِ لتكوِّنَ فـى النهايةِ «التـفـسيـر القصَصىَّ للقرآنِ الكريـمِ للناشئينَ» وهمْ فى حَاجَةٍ ماسَّةٍ إلى هذا التـفسير الذى يَصِلُهمْ بماضيهم العريقِ، ويعدُّهُمْ لحاضِرِهم ومُستَقْبلِهِمْ.

ـ وفى هذهِ الطَّبْعَةِ الجَديدَةِ حَرِصْنَا أنْ تكون الفائدةُ أكبَر، فقدَّمنا فى آخرِ كلِّ قصَّةٍ ملحقًا مِنْ شقَّيْنِ .. الشقُّ الأوَّلُ: عدَّةُ أَسْئِلَةٍ تَحْفِزُ القَارئَ عَلَى أنْ يُعيدَ القراءَةَ ويتأمَّلَ القصَّـةَ جَيدًا ليجيبَ عن هذه الأسـئِلَة،فتستقـرَّ المعانى فى ذِهْنِه، ويزيد عِلْمًا بما فيها مِن قِيمةٍ دينيةٍ هى الثمرةُ التى نرجُوهَا من نشْرِ هذهِ القصَص.

ـ أما الشقُّ الثانى من الملْحَقِ: فهو دُروسٌ فى قواعدِ اللغةِ العربيَّة «عِلم النَّحو» إذا تَتبَّـعها القَارئُ دَرْسًـا بَعْـدَ درسٍ من بدايةِ السِّلْسلةِ إلَى آخرِهَا يَصِـيرُ عَلَى عِلْمٍ بالحدِّ الأَدْنَى مِنْ قَواعدِ النحوِ التى لا يَنْبَغِى لقارئٍ أَنْ يجـهَلَهَا، فيستقيمَ لسَانُهُ، وتسلَمَ قراءَتُهُ مِنَ اللَّحْنِ والخَطأِ...

وبهذه القـصَص وما يَتْبـعُهَا من دُرُوسٍ فى اللغَـةِ نكونُ قَد حصـلْنَا عَلَى فائدة مزْدوَجة، مِنْ قيمٍ دينيةٍ ومعرفَةٍ بقواعدِ لغتنا، وَهوَ مَا يَنْبَغِى أنْ نُربِّىَ عَلَيْهِ أجْيالَ أبْنائنَا القَادمة..فنستعيدَ مَجْدَ الماضِى لنبنىَ علَى أُسُسه حَضَارَةَ المُسْتَقْبَلِ.

﴿ ربَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ واجْعَلْنَا للمتقين إمَامًا ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩) ﴾ [الحجر]

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) ﴾ [الشعراء]

معاني الكلمات :

١- اصدعْ بما تؤمرُ: الصَّدعُ هو الشَّقُّ، وهوهنَا أمرٌ بإظهارِ الدينِ وكأنَّهُ سَيَشقُّ جماعَةَ الكفَّار بإظهارِ دِينِه.

٢- أعْرِضْ عن المشركِينَ: لاَ تَلْتفِتْ إِلَيهِمْ ولاَ تُلْقِ لَهمْ بالاً.

٣- كَفيناكَ المستهزئِينَ: نحنُ نحميكَ وندْفعُ عنكَ استهزاءَ المستهزئِينَ.

٤- فسبِّحْ بحمد ربِّك وكنْ من السَّاجِدينَ: اذكر اللهَ كـثيرًا بالصَّلاةِ والعِبادَةِ والسَّجود فإنَّ أقربَ مايكونُ العبدُ منْ ربِّهِ وَهُو سَاجَدٌ.

٥- حتَّى يأتِيكَ اليَقِينُ: اعبدْ ربَّك طولَ حياتكَ حتَّى يأتِيَكَ الموتُ.

٦- عَشيرتَكَ الأَقربِينَ: هُمْ بَنُو عَبدِ مَنافٍ، وَقِيلَ كُلُّ أقارب ﷺ.

٧- واخْفضِ جنَاحَكَ للمؤْمِنِينِ: تَواضَعْ لهمْ وعَامِلْهمْ فى رفقٍ ومودَّةٍ.

بدأتِ الأُسرةُ جِـلستَهَـا، مَعَ آياتِ اللهِ، وفَصْـلٍ منْ فصول الـسِّيرةِ النـبويَّةِ العَاطِرةِ، فـتَلاَ أيمنُ آياتٍ منْ سورةِ الحِـجرِ، وتبعَـهُ أشرفُ فقـرأَ آيات منْ سورةِ الشُّعـراءِ، وكَانَ الوَالِدُ والوالِدةُ وإيمانُ يُنصِـتُونَ فى تَفـهُّمٍ وتَوْقيرٍ للآيـاتِ البَينات إذْعانًا لقولِ اللهِ تعالَى: ﴿وَ إِذَا قرِئَ القُرآنَ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتوُا لعلَّكمْ تُرحُمونَ﴾.

قـالتْ إيمانُ: أُلاحظُ ياأَبى أنَّ الخطابَ هنَا مـوجَّـهُ إلَى النَّبىِّ عليـهِ الصَّـلاةُ والسَّلامُ، وأنَّها تُشيرُ إلَى شَىْءٍ مِنْ حياةِ الرَّسولِ ﷺ.

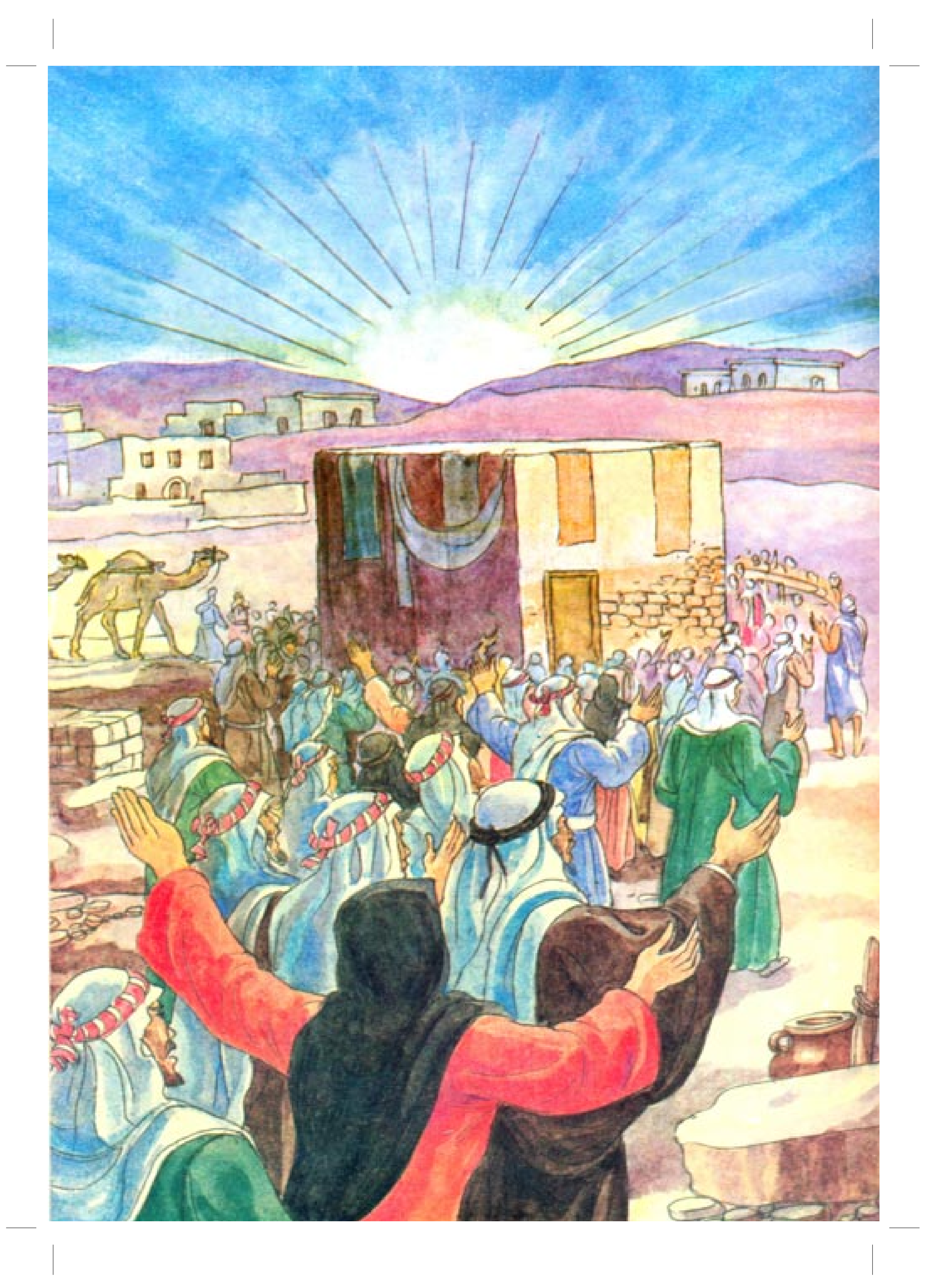
قالَ الوالِدُ: هَذَا صَحِـيحٌ يابْنتى، ولَكىْ نتفهَّمَ معَـانِىَ هَذه الآياتِ يَنْبغِى أَنْ نَعيشَ لحظـاتٍ معَ سيرةِ الرسُـولِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فـهذه الآياتُ تُشـيرُ إلَى تلكَ الأيَّامِ التَّى بدأَ النَّبىُّ صَلَّى اللهُ عليْـه وسلَّمَ يجهرُ فيهَـا بالدَّعوةِ بإذنِ منَ اللهِ سُبْحانهُ وتَعالَى.

قالتْ إيمانُ: أَلَمْ يَجـهرِ النَّبىُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّـمَ بالدَّعوةِ منذُ بدأ الوحْى يتنزَّلُ عليْهِ مِنْ رَبِّهِ فى شَهرِ رمضَانَ وَهُوَ يتعبَّد فِى غار حراءَ.

قالَ الوَالِدُ: لاَ، إنَّ الدَّعوةَ إِلَى الإسْـلامِ مرَّتْ بمراحِلَ، كانَ النَّبى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ فِيهَا يَتَّبعُ أوامرَ اللهِ عـزَّ وجلَّ. وكَانتْ لِكلِّ مرحلةٍ ثمرتُهَا، ولْنبدَأْ مَعَ النَّبى ﷺ فِى غَارِ حِراءَ.

قالتْ إيمانُ: وَماغارُحِراءَ؟

قالَ الوَالِدُ: الغَارُ هوَ شِقٌّ فِى الجبَلِ يمكنُ أنْ يخـتفِىَ فيه الإِنْسانُ، أَوْ يسْكنَ فِيـهِ، وَيسمَّـى الكهْفَ أيْضًا، وَغـارُ حِراءَ مكانٌ فى جَـبلِ حِراءَ يَقعُ فى جَـانبِ



الشَّمالِ الغَـربىِّ منْ مكةَ المكرمةَ، وكَانَ النَّبى صَلَّى اللهُ عليْه وسـلَّمَ عندَما قَاربتْ سِنُّه الأَربعينَ يَذَهْبُ إلَى هَذا الغَارِ، يخلُو فيه ويتعَبَّـدُ ليالى متعدِّدَةً، ثُمَّ يَعودُ إلَى بَيْتـه فَيتزَوَّدُ مِـنْ جديدٍ لخلْوةٍ أُخْرى، وهكذا إلَى أَن جَـاءَهُ الوحى مِنَ اللهِ تعَالىَ فهبَطَ عليهِ جبريلُ عليْه السَّلامُ وَأَبْلَغَهُ أَنهُ رَسولُ اللهِ إلَى العَالمينَ.

قالَ أيمنُ: ومَا حكمَةُ هذِه الخلْوةِ الَّتى كانَ يختليهَا النبى ﷺ؟

قالَ الوَالِدُ: إنَّ كلَّ إنسانٍ فى حَاجةٍ إلَى مثلِ هذِه الخلْوةِ، كُلُّ واحدٍ بحسبِ قُدرتِه، وكَـفاءَتِه النَّفْـسيةِ؛ إنَّ فِى النَّفْـسِ البشَرِيةِ أمـراضًا لاَيداويهَـا إلاَّ العزْلَةُ، فَينَبغْى أَنْ يَخْتلِىَ الإنسانُ بنَفْسهِ بَينَ كُلِّ فترةٍ وأُخْرى؛ ليتَأمَّلَ فِى حَقيقَتها ومَنْشئهَا ومدَى حَاجَتِها إلى عِنَايةِ اللهِ تعالى ومُساعَدتِه وتَوفيقِه، ولَكَىْ يتأمَّلَ النَّاسَ ومَدَى ضَعفهمْ أَمامَ الخَالقِ عَزَّوجَلَّ، وليتفكَّروا فِى مَظاهِرِ عَظمةِ اللهِ، وفِى الْيومِ الآخرِ، وفِى الحِسابِ وَطُولِهِ، وفِى رحمةِ اللهِ القَرِيبـةِ مِنَ المحسنينَ، وعقابِه الشَّديدِ الَّذى لابدَّ أنْ يَقعَ بالْمجرمينَ، إنَّ ذلكَ كلَّه يقرِّبُ الإنسانَ منْ ربِّه، ويُكسبُه محبَّتَه.

قَال أشـرفُ: إنَّ هنَاكَ نَاسًا يَنْصـرِفُونَ عَنِ الحيـاةِ كُلِّها، وَيعـتزِلُونَ النَّاسَ، ويَعتَبِرونَ ذَلكَ هُو قِمَّةُ العبادَةِ والوصُولِ إلَى اللهِ، حتَّى أنَّ العوامَّ يَصفونهم بكلَمةِ الوصُولِ هَذهِ فيقُولونْ: إنَّ فلانًا رجُلٌ واصلٌ.

قالَ الوَالِدُ: لاَ، يَابُنىَّ، هَذهِ مُغالاةٌ فى العِبـادَةِ، ومخالفةٌ لما كَانَ عليه النَّبىُّ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ وأصـحَابُه؛ لأنَّ الإنسانَ مستـخلَفٌ فى الأَرضِ لإعْمارِهَا، والعَملِ عَلى ازْدِهارِهَا وكَثْرةِ خيْراتِها بِكلِّ مـا هُوَ خَيْر ومُباحٌ، وَالسَّعْى فى إعْمارِ

الأَرْضِ مِنْ أهمِّ الواجِباتِ المشْروعَةِ، واللهُ سبحانَه وتعَالَى عندَما فَرضَ علَيْنَا الصَّلاةَ لمْ يأمرْنَا بأنْ نجعلَ كلَّ حياتنَا صَلاةً، وإنَّما نُؤدِّى الفَرضَ الَّذى أوجَبهُ اللهُ علينا، ثُمّ نَنْتَشِرُ فى الأَرضِ نَعملُ ونكدُّ طَالبينَ الرِّزقَ منَ الله، يقولُ سبحانَهُ وتعَالَى: ﴿**فإذَا قُضِيَت الصَّلاةُ فَانْتَشروا فِى الأَرضِ وَابتغُوا منْ فَضْلِ الله واذكروا اللهَ كَثِيراً لعلَّكمْ تُفلحُونَ**﴾ فَالفلاَحُ الحِقيقِىُّ هوَ التَوسُّطُ فِى الأُمورِ، وهُو إعطَاءُ الآخرةِ حقَّها بالطَّاعةِ والعِبادَةِ، وَإعطَاءُ الدُّنيَا حقَّها بالسَّعىِ والإعْمارِ وَالتَّدبيرِ.

وتوقَّفَ الوَالِدُ عَنِ الكَلامِ لحَظاتٍ يتأملُ دَاخِلَ نَفْسِه، وَينظُرُ وَقعَ الحديثِ عَلَى مَلامحِ أُسرتِهِ، ثمَّ استْطردَ يَذكُرُ كَيفيةَ بدءَ الوَحىِ إِلَى النَّبى علَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ. قَالَ:

- لِنعُدْ يَا أَبْنَائى إِلَى غَارِ حِراءَ، وكيفَ بَدأَ الوحُى إِلَى النَّبىِّ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ، نَقرأُ فى صَحيحِ البخارىِّ عَنِ السيدةِ عائشة رَضِى اللهُ عنْها تَصِفُ كيفيَّةَ بَدءِ الوَحىِ، وَتَقُولُ:

أولُ مابُدئَ بهِ النَّبىُّ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ، الرُّؤيَا الصَّالِحةُ فِى النَّومِ، فكَانَ لاَيَرَى رُؤيَا إلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلقِ الصبُّحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إلْيِه الخَلاَءُ، وكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حَراءَ فيتحَنَّثُ فِيهِ الليالى ذوات العَددِ قَبْل أنْ ينزِعَ إلَى أهْلِه، ويتَزوَّدُ لذلكَ، ثُمَّ يرجِعُ إِلَى خَدَيجةَ فيتزوَّدُ لِمثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحقُّ وهُوَ فِى غَارِ حراءَ، فجاءهُ الملَكُ فقَالَ لهُ: اقْرأْ، فقَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئ، قَالَ: فأخذنى فَغطَّنى حَتَّى بلغَ منى الجهْدَ ثمَّ أرْسلَنِى فقَالَ: اقْرأْ، فقُلتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأخذَنِى فغَطَّنِى الثانيةَ حتَّى بلغَ منى

الجهدَ ثمَّ أرسلَـنى، فقَالَ: اقْرأْ، قلتُ: ما أنَا بـقارِئ، فأخذنى فغطَّنى الـثَّالثَةَ ثُمَّ أرسَلنى فقَالَ: ﴿**اقْرأ باسمِ ربِّكَ الَّذى خَلَقَ* خَلَقَ الإنْسَانَ منْ علَق* اقْرأ وربُّكَ الأكْرَمُ* الذى علَّمَ بالقَلَمِ* علَّـم الإنْسانَ مَـالَمْ يَعْلَمْ**﴾. فَرجَع بـهَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عـليْه وسلَّمَ يَرجُفُ فُؤادُهُ، فـدَخلَ عَلَى خَديجَـةَ بِنْتِ خُويْلدٍ رَضىَ اللهُ عنْها، فَـقَالَ: زَمِّلُونى، زمِّلونِى، فزمَّلُوهُ حتَّى ذَهَبَ عَنْه الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَـديجَةَ، وأَخْبرَهَا الخبرَ: لَقدْ خَـشيتُ علَى نَفْسِى، فَقَـالتْ خَديجةُ: كَـلاَّ، وَاللهِ لاَ يُخزيكَ اللهُ أبدًا، إنَّكَ لَتـصلُ الرَّحمَ، وَتَحملُ الـكَلَّ، وتُكسبُ المعْدومَ، وتَقْـرِى الضَّـيفَ، وتُعِينُ عَلَى نَوائبِ الحقِّ. فَـانْطلقَتْ بِهِ خَديـجةُ حـتَّى أَتَتْ ورقَةَ بنَ نوفَلِ بنِ أَسـدِ بنِ عبـدِ العُزَّى، وكَـانَ ابنَ عمِّ خَديجةَ، وكانَ امـرأً قَد تَنصَّرَ فِى الجَاهلِّيـةِ، وكَانَ يكتُبُ الكتَابَ العبـرَانىَّ، فيكتُبُ منَ الإنْجيلِ فِى العبْرانيةِ مَـا شاءَ اللهُ أَنْ يكتبَ، وكَانَ شَيْخًا كبيرًا قَدْ عَمِىَ. فَـقَالَتْ لَهُ خديجَةُ: يَابْنَ عَمٍّ، اسْمعْ منَ ابْنِ أَخيكَ، فَقَالَ لَهُ ورَقَةُ: يَابْنَ أَخِى، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرهُ رَسُـولُ الله صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ خبَر مَا رأَى، فقالَ لَهُ ورَقَةُ: هذَا النَّامُوسُ الَّذى نَزَلَ عَلى مُوسَى، يَالَيْتنى أكونُ فيهَا جذعًا، لَيْتنى أَكونُ حَيًّا إذْ يُخرجُكَ قَوْمُكَ، قَالَ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ: أَوَ مُخرِجىَّ هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمثلِ مَا جِـئتَ بِهِ إلاَّ عُودِىَ، وَإنْ يُدْركْنِى يومُكَ أَنْصرْكَ نَصْرًا مؤزرًا. ثُمَّ لَمْ يَلْبثْ وَرقَةُ أَنْ تُوُفِّىَ.

قالتْ إيمَـانُ: أَلَمْ يكنْ فى الإمْكانِ أَنْ يُوحِىَ اللهُ إلَى النَّبى صَلَّى اللهُ عـليْه وسلَّمَ بِدُون وَسَاطَةِ الملَك، فيجرِى القُـرآنُ عَلَى لِسانه دوُنَ حَاجَةٍ إلَى مَا رآهُ النبىُّ منْ هَيْئَةِ المـلَكِ ودُونَ حَاجَةٍ إلَى تكرارِ الضَّمِّ، حَتَّى يبلغ منَ النَّبِـى الجهدُ ويَصلَ إلَى حَالةِ الرعب التى ذكرَها.

قَالَ الوَالِدُ: يَابُنَيَّتِي، إنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيء قَدِيرٌ، ولَقدْ كَلَّمَ اللهُ موسَى تكليما، كَما أَخْبرَنَا فِي كِتَابِه، وَنحنُ نؤْمِنُ بِذَلِكَ، ولَكنَّ الوَحى عَنِ طَرِيقَ الملاَكِ يتضَّمنُ حِكْمةً بالِغَةً أرادَهَا اللهُ سبَحانَهُ وتعَالَى لِتكُونَ آيةً فِي صِدْقِ النَّبىِّ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ، وَدافِعًا للتَّصدِيقِ بِكُلِّ ماجَاءَ بِهِ، وأَنْصِتُوا لِي جَيِّدًا وَتدبَّرُوا هَذِهِ الحِكْمَةَ مَعِي.

لوْ أنَّ الوَحْى جَاءَ إِلَى النَّبىِّ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ بِدُونِ وسَاطَةِ الملَك، لظَنَّ النَّبى، أَوظَنَّ النَّاسُ أَنَّ مايْجرى عَلَى لِسَانِ النَّبى هو أَمْرٌ ذاتى دَاخِلىٌّ سَبَبُهُ حَدِيثُ النَّفْسِ أَوِ التَّفكيرُ بصوْتٍ عَالٍ كمَا يقَالُ. ولَكنْ عِندَمَا يجِىءُ الملَكُ بهِذِهِ الصُّورَةِ، وَهُوَ شَىْءٌ لَم يَعهْدهُ النَّبىُّ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ فى حَيَاتِهِ، وَلم يسمَعْ عنْه بينَ النَّاسِ، فإنَّهُ يتأَكَّدُ بأنَّ هذا الوَحْىَ إنَّما هُو استِقْبالٌ من مَصدَرٍ خَارجىٍّ لاَ عَلاَقةَ لهُ بِتفكيرِهِ أَوْ حَدِيثِ نَفْسه، وَعندمَا يَضُمهُ المَلكُ ثَلاثَ مَّراتٍ ثمَّ يرسِلُهُ ويقُولُ لَهُ فى كلِّ مرة: اقْرأْ، يُعتبرُ هَذَا تَأْكِيداً بِأَنَّهُ يتلقَّى مَا يتلَقَّاهُ مِنْ هذا المصْدَرِ الخارجىِّ، الذى يُريدُ أَنْ يُؤكِّدَ لهُ ذلك بحاسَّةِ السَّمعِ، وبحاسَّةِ البَصرِ، وبحاسَّةِ اللَّمسِ، وَكأَنَّهُ يقُولُ لهُ: يَامحمدُ، أَنْتَ فِى كَامِلِ يَقْظَتِكَ، وهذه المحسُوسَاتُ كلُّها مِنْ حولِكَ تَشهَدُ بيقْظَتِكَ، وَمَايحدُثُ لَكَ الآنَ ليسَ رؤيَا منَامٍ، ولا هَواجِسَ ولاَ وَسَاوِسَ، وَإِنَّما هِىَ الحقِيقَةُ الَّتى ستَملأُ أَقْطارَ الأَرْضِ قَرِيبًا، فَأَنَاجِبرِيلُ، وأَنْتَ رَسُولِ اللهِ.

وعندَمَا نزلَتْ سُورَةُ المدَّثر، وسُورةُ المزمِّل أَخَذَ النَّبى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ يَجتهِدُ فى العِبَادَةِ فكانَ يقْضِى الليْلَ إلاَّ قليلاً مِنْهُ فى الصَّلاةِ والتَّبتُّلِ، وَكانتْ

خَديَجةُ رضِيَ اللهُ عَنْها تَقـولُ لهُ مامَعْناهُ: أَلاَ تَنامُ فَترِيحَ جسدَكَ؟ فَيـقُولُ لها عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ: لَقدْ مَضَى زَمَانُ النَّومِ يَاخَدِيَجةُ!

إِنَّهَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ يُعدُّ نْفسهُ لتـحمُّلِ المسئولية الَّتى كلَّفَهُ اللهُ بِهَا، وَبَدأَ الدَّعوةَ إِلَى عبادة اللهِ وَحَـدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَإِلَى تَرْكِ عبَادةِ الأَصْنامِ، الَّتى تَعكُفُ عَليهَـا قُريشٌ، وكَانَ لاَ بُدَّ مِنَ الاحْـتياطِ لئَـلاَّ تُقتَلَ الدَّعَوةُ قـبلَ أنْ تَظْهرَ، فكَانَ النَّبُّى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يَدْعوُ إِلَى اللهِ سرَّاً حـذرا مِنْ وَقعِ المفَاجَأَةِ عَلَى قُريْشٍ الَّتِى كَانَتْ مُـتَعصبِّـةً لِشرْكِهَا، فَلمْ يكـنْ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ يُظهـرُ الدعوة فِى المجالِسِ العمومُيَّةِ لقـرْيشٍ، ولَمْ يكن يَدْعُو إلاَّ مَنْ كَانَتْ تَشدُّه إليْهِ صِلَةُ قرابَةٍ أَوْ مَعرِفَةٌ سَابِقةٌ.

وكانَ مِنْ أوَائلِ مَـنْ دَخلَ الإِسْلاَمَ: خَديَجـةُ بِنْتُ خُويلدٍ رضِىَ الله عـنْها، وعَلىُّ بنُ أَبِى طَالبٍ، وَزَيْد بنُ حَـارِثةَ، وأَبُو بكرِ بن أَبى قُـحافَـةَ، وَعُثْمـانُ بنُ عَفَّانَ، والزُّبيرُ بنُ العَّوامِ، وعبدُ الرْحمنِ بنُ عَوْفٍ، وسَعدُ ابنُ أَبى وَقَّاصٍ، رَضِى الله عنْهم جَمِيعًا.

وَكانُوا يَلْتقُـونَ بالنَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم سِرَّا، فيأخـذون عَنْه ما جدَّ مِنَ الوَحْيِ، أَوْ يُذكِّـرهُمْ عليْهِ الصَّـلاةُ والسَّلامُ بِمَـا ينْبغِى أنْ يكونَ عليْـه المسْلمِ منْ خِصَالٍ وشمائل وأَخْلاقٍ كَرِيمةٍ، ثمَّ ينْصرِفـونَ فإذا أَرَادَ أَحدُهُمْ مُمارسَةَ عِبادةٍ من العِبَادَاتِ انْطَلَق إِلَى شِعْبٍ مِنْ شِعَاب مَكَّة يستخفى فِيه عن أَنْظَار قُريْش.

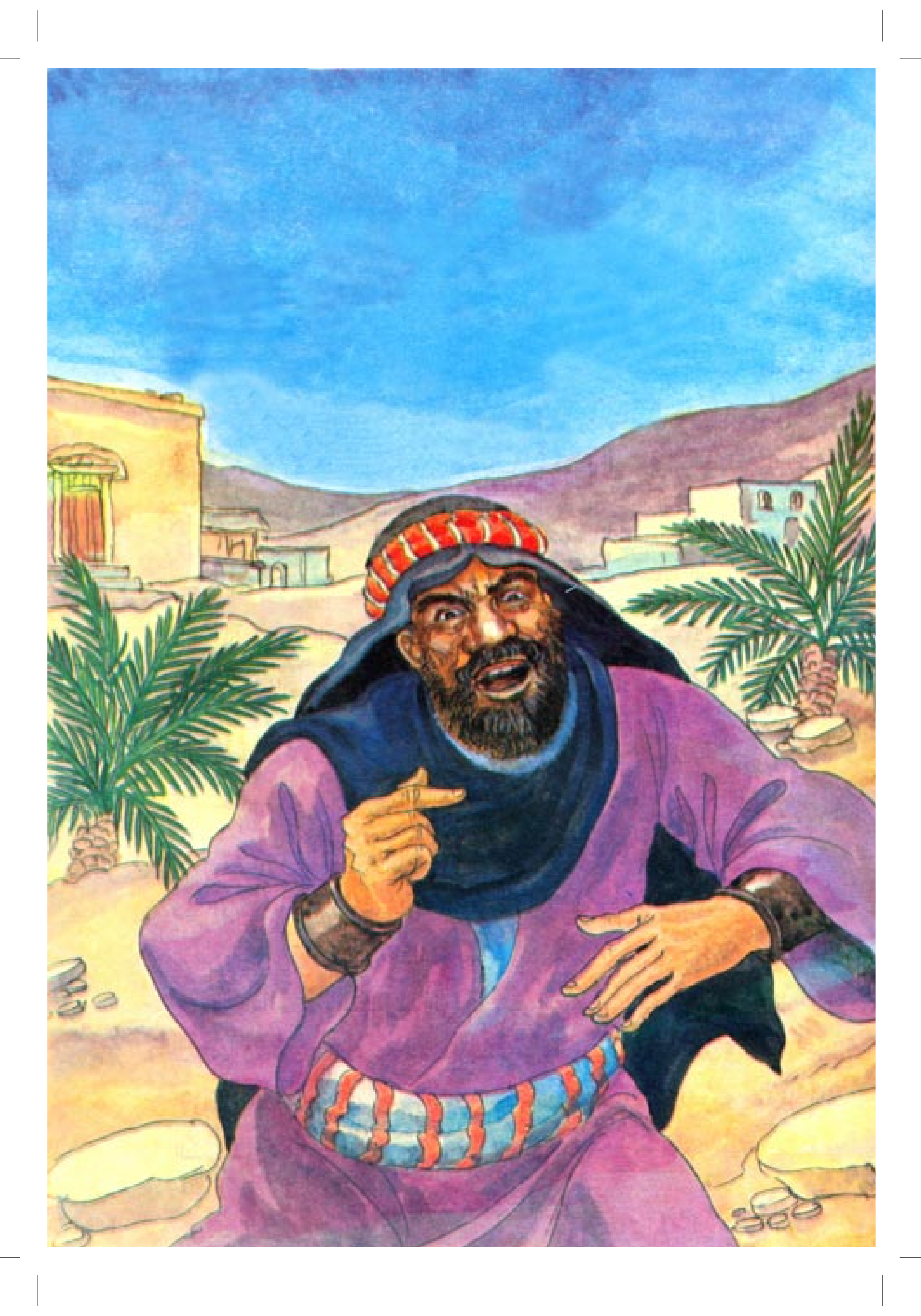
ولما اقتربَ عددُ المسْلمِينَ مِنَ الثّلاثينَ بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرأةٍ، اخْتارَ لَهمْ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عليْه وسـلَّم دارَ وَاحدٍ هوَ الأَرقمُ بنُ أبِى الأَرْقمِ، فكَانُوا يَلْتَـقُونَ هُنَاكَ، يتَلقَّوْنَ مِنَ النبىِّ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم مايْحتاجُونَ إليْهِ مِنْ إرْشادٍ وتَعليمٍ، إلى أَنْ بلَغَ عَددُهمْ أَربعِينَ عَـامَّتُهم مِـنَ الفُقَراءِ وَالعَـبيدِ الَّذِينَ لاَ شَـأْن لَهمْ فِى قُريشٍ، وَليْسُوا مِنْ رُءوسِ النَّاسِ ولاَ رُؤَسائِهمْ.

قالَ أيمنُ: ولماذَا لمْ يجهرِ النَّبى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم فى بَادِئ الأَمْرِ، ويُعْلنْ كَلمةَ اللهِ بَلا تردُّد أَوْ تأْخيرٍ؟

قالَ الوَالِدُ: يَابُنَىَّ، إنَّهُ أوَّلاً تَـرتيبٌ منَ اللهِ سبحـانَهُ وتعَالَى، ولاَ أَشُكُّ فِى ذَلكَ، ولاَ بدَّ أنَّ هناكَ حكمةً نسـتخلصُها منْ قـولِ النَّبىِّ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، «اسْتَعِـينُوا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِـجِكمْ بِالكِتْمانِ»، ثُمَّ إنَّ عَددَ المسْلمِينَ فِى هـذِهِ الفَتْرةِ كَانَ قَليلاً جِداً، وَهمْ فِى الوَقْتِ نَفْسهِ مِنْ فُقراءِ مكةَ وضُعَفائِها، بَلْ وفيهِمُ العَبيدُ الذين لاَ يَزَالُونَ مَمْلُوكينَ لأسْيَادِهمْ مِنْ عُظماءِ قُريشٍ، وَإذَا ظَهرتِ الدَّعوةُ عَلانيةً فِى مِـثْلِ هذه الحالِ، تعـرَّضَ المسلمُـون للأذَى الشَّـديدِ الذى قَدْ يَصِلُ إلَى حَـدِّ القَتْلِ، فكَانَتِ الحِكْمةُ أَنْ تَبْقَى أرْواحُ المسْلمينَ سَليَـمةً، وَإلاَّ فإنَّ هَلاكَهمْ سيكونُ إضْراراً بالدِّينِ نَفْسهِ، وقطعًا لدَعوةِ الإِسْلام وَهىَ لا تَزَالُ فِى أُولَى خَطَوَاتِها.

ثمَّ لَنتـأمَّلْ حكمَةً أَخْـرَى فِى أَنْ يكونَ أوَائلُ المسْلمينَ خَليطًا مِنَ الضُّـعفَـاءِ والفُقَراءِ والأرِقَّـاءِ، فَنجدُ أنَّ هذه هِىَ الثَّمرةُ الطَّـبيعيَّةُ لدِعْـوةِ الأَنْبياءِ جَمـيعًا فِى فَتْرتِهَا الأُولَى.





والسِّرُّ فِى ذَلكَ أنَّ حقَـيقَةَ هَذا الّدِينِ الَّذى بَعثَ اللهُ بهِ كُلَّ أنْبـيائِه إنَّما هِىَ الخرُوجُ عَنْ سُلطَانِ البَشَرِ وَسَـيْطِرتهمْ، وَالدُّخول فِى سُلطانِ اللهِ وَحُكْمِه وَحْدهُ، ولئَلاَّ يقُالَ بأنَّ هذَا الدِّينَ قَامَ بقـوَّةِ الأَقوِيَاءِ أَوْ سلْطانِ العُظماء، وَإنمَا هُوَ بقوَّة اللهِ وسُلطانه الذى أَعْطَى هَؤُلاءِ القوةَ ومنحَهُمُ الإيمَانَ الثَّـابتَ، فَلاَ يَعتزُّونَ إلاَّ باللهِ، ولاَ يركْنُونَ إِلى سِواهُ، حَـتَّى أنَّ أحدَهُم وَهُو رِبْعىُّ بنُ عَامِـرٍ، وَهوَ جُندىٌّ بَسيطٌ فِى جَيْشِ المسْلمينَ يَقفُ بَعْـدَ ذَلكَ بسِنينَ أمَامَ رُستمَ أكبرِ قَـائدٍ فِى جيْش الأَعَداءِ الفُرْسِ لِيقولَ لَهُ:

[لَقَدْ جِئْنَا لنخرج مَنْ شَاءَ مِنْ عِبادَةِ العِبَادِ إِلَى عِبَادةِ اللهِ وَحْدَهُ].

إنَّ هؤلاء النَّفرَ مِنَ المسْلمينَ لَمْ يَسـتَجِيبُوا لِدَعوةِ حَـاكمٍ مِنَ البْشَرِ، ولاذى سُلطَانٍ مِنَ النَّاسِ، وَإِنَّما استَجـابُوا لِلَّهِ وللِرَّسُولِ، وحَملُوا هَذهِ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّوْهَا إِلى العَالَمِ خيرَ الأَدَاءِ.

ونُعودُ إِلَى رُواةِ السيرةِ العَاطِرةِ، فَنقْرأُ لابْنِ هِشَامٍ قَولَهُ:

ثمَّ دخَلَ النَّاسُ فِى الإِسْـلاَمِ أَرسَالاً مِنَ النِّسـاءِ والرِّجَالِ، حَـتَّى فَشَـا ذِكْرُ الإِسْلامِ بمكَّةَ، وتحدَّثَ النَّاسُ بِهِ، فَأَمَر اللهُ رسولَهُ أَنْ يَصدَعَ بِما جَاءَ بِهِ من الحقِّ، وأَن يُبادِىَ النَّاسَ بأمرِه وأَنْ يَدْعوَ إِليْهِ، وكَانَ بَينَ مَا أَخفَى رسُولُ اللهِ أَمْرهُ واستَتَر به إِلَى أَنْ أمرَهُ اللهِ بإِظهار دينه ثَلاثُ سِنينَ مِنْ مَبْـعثه، ثُمَّ قَالَ اللهُ لَهُ: ﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤)** ﴾ وقَالَ لَهُ: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ*وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ* وَقُلْ أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ**﴾.

يقولُ ابنُ هِشَامٍ:

وحينئذٍ بَدأَ رَسُولُ اللهِ بِتَنْفِيذِ أَمْرِ رَبِّهِ، فَاستجَابَ لِقولِهِ تعَالَى: ﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤)** ﴾ بِأَنْ صَعِدَ عَلَى الصَّفَا فَجعَلَ يُنَادِى: يَابَنِى فِهرٍّ، يَابَنِى عَدِىٍّ، فجعَلَ الَّذِى لَمْ يستطِعْ أَنْ يخرُجَ يُرسِلُ رسولاً لِينْظُرَ: مَاهُوَ؟ فقَالَ النَّبِىُّ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ: أَرأَيتُمْ لَوْ أَخبرتكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالوَادِى تُرِيدُ أَنْ تُغيرَ عَليْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِىَّ؟ قَالُوا: مَاجَرَّبْنَا عَليْكَ كَذِبًا قَطُّ. قَالَ: فَإِنِّى نَذيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذابٍ شَدِيدٍ. فقَالَ أَبُو لَهبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهذَا جَمعْتَنَا؟ فَنزَلَ قَولُ اللهِ تعَالَى: ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ** ﴾.

ثمَّ إن الرَّسولُ استجَابَ لِقولِهِ تعَالى: ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ (٢١٤)** ﴾ بِأَنْ جَمعَ مِنْ حَوْلِهِ جَمِيعَ ذَوِيه وَأَهْلِ قَرابَتِهِ وَعَشِيرَتِهِ، فقَالَ: يَابَنِى كَعْبِ ابنِ لُؤَىٍّ أنقذوا أَنْفسكُمْ مِنَ النَّارِ، يَابَنِى مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ، أنقذوا أَنْفُسكُمْ مِنَ النَّارِ. يَابَنِى عَبْدِ شَمسٍ، أنقذوا أَنَفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَابَنِى عَبْدِ مَنَافٍ، أنقذوا أَنْفُسكمْ مِنَ النَّارِ، يَابَنِى عَبدِ المطَّلبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكمْ مِنَ النَّارِ، يافَاطِمةُ، أنقذى نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّى لاَ أَمْلِكُ لَكمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، غيرَ أَنَّ لَكُمْ رَحمًا سَأَبلُّها ببلالها.

وكَانَ رَدُّ الفِعْلِ مِنْ قُرِيشٍ أَمَامَ جَهرِهِ بالدَّعوةِ، أَنْ أَدْبروا عَنْهُ وَتنكَّرُوا لِدَعوَتِهِ، مُعْتَذِرينَ بِأَنَّهمْ لاَيَستطِيعُون أَنْ يتركُوا الدِّينَ الَّذى وَرِثُوهُ عَنْ آبَائِهمْ، وَأَصْبَحَ مِنْ تَقَالِيدِ حيَاتِهِمْ، وَحِينئذٍ نَبَّههُمُ النَّبى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم إِلَى ضَرُورَةِ تَحرِيرِ أَفْكَارِهمْ وَعُقُولِهمْ مِنْ عُبُودِيَّةِ الاتِّبَاعِ وَالتَّقليدِ، وَأَنْ يَستَعْمِلُوا العَقْلَ

وَالمَنْطِقَ، وأَوضحَ لهمْ أنَّ آلِهتَهُمْ التَّى يَعْكفُونَ عَلَى عِبَادَتِهَا لاَ تُفيدهُمْ أَوتَضرُّهمْ شَيْئًا.

فلمَّا عابَ آلِهَتهُمْ، وسَفَّهَ عُقُولَهمْ، أَعْظَمُوا الأَمْرَ، وأَجمعُوا عَلَى خِلاَفِه وعَدَاوتِه، إلاَّ منْ عصَمَ اللهُ تعالَى منهمْ بالإسْلامِ، وَإلاَّ عمَّهُ أَبَاطَالِبٍ، فَإنَّهُ رغْمَ بقَائهِ عَلَى شِرْكِهِ، كَانَ يَحميه وَيدفَع عنْهُ كَثيرًا مِنَ أذَى الْمشركينَ.

واسْتطردَ الوَالِدُ فِى حَدِيثه، فَقَالَ:

وانْظروُا يَاأَبْنائِى إلَى العِبْرةِ والعِظَةِ فِى إنَذارِ النَّبى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم عَشيرتَهُ الأَقرَبِينَ، إِنَّها تَنْبيهٌ لكلِّ مسْلمٍ بأنه مسئُولٌ عَنْ أَهْلِهِ وذوى قُرَباهُ، وتَوجِيهًا إلَى القِيامِ بحقِّ هذِهِ المسْئوليَّة خَصَّصَ اللهُ الأَهْلَ وَالأَقَارِبَ بضرورَةِ الإنْذارِ وَالتَّبليغِ، وَهذِهِ المسْئُوليةُ يَشتركُ فِي ضَرورَةِ تَحمُّلِهَا كُلُّ مسْلم صَاحبِ أُسْرةٍ أَوْ قرْبَى، ولَيَستْ خَاصَّةً بالأَنْبياء فَقَطْ، فالأَنْبياءيُدْعونَ إِلَى اللهِ، ويُخرجُونَ المؤْمنينَ بدعْوتِهِمْ مِنَ الظُّلماتِ إلَى النُّورِ، وتَبْقَى الدَّعوةُ بَعدهمْ أمَانَةً فِى أَعْناقِ مَنْ يَتْبعُونَهم، عَلَيهمْ أُنْ يبلِّغوهَا بدَوْرِهمْ، ويَنْطقُوا هُمْ أيضًا بأَلْسِنةِ الرُّسلِ، وَأَوْلَى النَّاسِ بالتَّبليغ وَالإنذارِ هُمْ أهل الإنَسانِ وَعشيرتُهُ وذَوُو قُرْباهُ، لإنقاذهم مِنَ النَّارِ، فكلُّ إنسانٍ لاَ بدَّ أَنْ يَلقَى ربَّهُ، فيحَاسِبَه علَى ما قدَّمَ وأخَّرَ، ولاَ تُغنِى نَفْسٌ عن نَفْسٍ شَيْئًا.

ولنْتأَمَّلْ قَولَهُ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم لابنته الَّتى هِىَ أَحَبُّ النَّاسِ إِليْه: يَافَاطمَةُ أَنْقذِى نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّى لاَ أَملِكَ لك مِنَ اللهِ شَيْئًا. ولعَلَّ فِى جَلسَاتِنَا هَذه



تبْليغًـا وتَوْجيهًا وتحـملاً للمسْئـوليةِ الَّتى نَدْعو اللهَ أنْ يُعـينَنَا فِيه، ويتقَـبَّلَها مِنَّا، وَيجعَلَ ثَمرَتَها الخيرَ والتَّوفيقَ والفَلاحَ.

قالَ الأَولادُ كُلُّهمْ، وَقَدْ رفعُوا أَكُفَّهم ضَارِعينَ: اللهم آمينَ.

وانْتقَلَ الوَالِدُ إِلَى الحديثِ عمَّا جرَى بْعدَ الجهرِ بالدَّعْوةِ فقَالَ:

ثمَّ إنَّ قُريشًا اشْتدَّتْ فِى إيذائها ومُـعَادَاتِها لرسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ وأَصحـابِهِ، أَمَّا رسولُ اللهِ فَقَـد لاَقَى من إيذائهمْ أَنواعًا كَثيـرةً، مِنْ ذَلَكِ ما رَواهُ عبدُ اللهِ بنُ عمرِو بْنِ العَـاصِ إذْ قَالَ: بَينمَا النَّبىُّ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يصَلِّى فِى حجْـرِ الكَعْبَـةِ، إِذْ أَقْبل عُقْـبَةُ بنُ أَبِى مُعَـيْطٍ فوضَعَ ثوبَهُ فِى عُنُقِـه فخنَقَـهُ خَنْقًا شديدًا، فَأَقْـبلَ أبُو بكرٍ حَتَّى أخَذَ بِمنْكَبِهِ، ودَفعَـهُ عَنِ النَّبى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم وقالَ: أَتَقْتلونَ رجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّى اللهُ؟. وَمِنهُ مارَوَى عبدُ اللهِ بنُ عمرَ قالَ: بينَما النَّبىُّ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم سَاجدٌ وَحولَه ناسٌ منْ قُريشٍ جَـاءَ عُقْبةُ بنُ أَبِى مُعَيْطٍ بِسَلاَ جَزُورٍ فَقذَفَهُ علَى ظَهْرِ النَّبى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، فَلمْ يرفَعْ رأسَهُ، فجاءَتْ فَاطِمةُ رَضىَ اللهُ عَنْها فأخَذَتْهُ منْ ظَهرِهِ ودَعتْ عَلَى مَن صَنعَ ذِلكَ. ومِنهُ ما كَانُوا يُواجهونَهُ بهِ مِنْ فنونِ الهمْزْ والغَمزِ واللَّمزِ كلَّما مَشَى بينَهمْ أَومرَّ بهمْ فى طُرقَاتِهمْ أَونَوادِيهِمْ.

وكانَ بعضُهم يعْمدُ إلَى قَـبضةٍ منَ التُّرابِ فَينثُرهَا عَلَى رأسِ النَّبى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم وَهُوَ يسيرُ فِى بعْضِ سِكَكِ مكَّةَ، وَيعُودُ إِلَى بيْتِهِ والتُّرابُ علَى رَأْسِهِ، فتقُومُ إِحْـدى بنَاتِهِ تَغْسِلُ عنْه الترابَ وهىَ تَبْكى، فَيقـولُ لَهَا النَّبى صَلَّى اللهُ عليْه

وسلَّم: يَابُنيةُ لاَ تَبْكِى، فإنَّ اللهَ مَانعٌ أبَاكِ، يَعْنِى حَافِظُهُ وحَامِيهِ ومدافع عنْه مهْمَا كَانَ إيذَاءُ الْمشركينَ لَهُ وسُخريتُهم منْهُ.

هذَا بالنسبةِ لَهُ عليْه الصَّلاةُ والسَّلامُ، أَمَّـا أصْحَابُهُ رضْوانُ اللهِ عليْهم، فَقَدْ لاَقَوْا أنْواعَا منَ التَّعذيبِ وصنُوفًا مِنَ الإيذَاءِ، فَلمْ تَهِنْ قُوتُهمْ، ولَمْ يلنْ عزْمُهمْ، حَتىَّ ماتَ منهــمْ مَنْ ماتَ تَحتَ العَذَابِ، وَعمِىَ مَنْ عمِىَ، ولْـنَسمعْ إلَى وَاحدٍ منهمْ هُوَ خَبَّــابُ بنُ الأَرتِّ يقولُ: أَتيْتُ النَّبى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم وهُو مـتوسِّدٌ برْدةً فِى ظِلِّ الكَعْبةِ، وَقدْ لَقِينَا منَ المشركينَ شدَّةً، فقُلتُ: يَارسُولَ اللهِ، أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ فقعَدَ وهُوَ مُحمرُّ الوَجْهِ فقَالَ: لَقدْ كانَ مَنْ قَبلَكمْ ليمشَطُ بأمْشاطِ الحديدِ مَادُونَ عِظَامِه منْ لحمٍ أَو عَصَبٍ، مَايَصـرِفُهُ ذَلكَ عَنْ دِينه، ولَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الأَمَر حَتَّى يَسير الرَّاكِبُ منْ صنَعاءَ إلَى حَضْرموتَ لاَ يَخَافُ إلاَّ اللهَ.

وكأَنَّ النَّبى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم يخاطِبُ المسْلمينَ جمـيعًا منْ خِلاَلِ حَديثه لخـبَّــابٍ رضِى اللهُ عنْهُ، ويقُــولُ لهمْ: إنْ كُنتمْ تَتَعــجَّبُـونَ منَ العَــذابِ والأَذَى وَتَستغْربُونَ أَنْ يجرِىَ ذَلكَ فِى سَبِــيلِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فَاعْلَمُوا أنَّ هذَا هُوَ السَّبيلُ، وتلكَ هِى سُنَّةُ اللهِ فِى جَمـيعَ عِبَادهِ الَّذين آمَنُــوا بِهِ، لَقدْ مُشِطَ الكَثـيرُ منْهمْ فِي سَبِيلِ دِينهِ بَأَمشَاطِ الحـدِيدِ منْ رأْسِهِ إلَى القَدمِ ما صدَّهمْ ذلك عَنْ شَىْءٍ منْ دينِ اللهِ. وَإنْ كنتمْ تـرَوْنَ فِى العَـذَابِ دَلائلَ اليَـأْسِ وَالقُنُوطِ مِـنَ النَّصْـرِ، فَـأنْتم متـوَهِّمُونَ، بَلِ الحقُّ هُوَ أنَّ المؤمنَ يَجدُ فِى العَـذابِ والأَلم دَافعًا إلَى السَّـير فِى الطَّرِيقِ حَتَّى النِّهايَةِ، ودُنُوًّا منَ النَّصرِ المبينِ، وَالفَتحْ القَرِيبِ.

لَمْ يَنَلِ التَّعذيبُ والإيذاءُ لأصحَابِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم شيئًا منْ نُفوسِهِم، فلَجَأتْ قريشُ إلى طريقِ المفاوضاتِ يقولونَ لهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ:

إنْ كُنتَ إنَّمـا تريدُ بما جئتَ بِهِ منْ هذَا الأَمـرِ مَالاً جمـعْنَا لَكَ منْ أَموالِـنَا حَتَّى تكونَ أكـثَرنَا مـالاً، وإنْ كنُتَ تريدُ به شَـرَفًـا سوَّدناك عَلَيْنـا حَتَّى لاَ نَقْطَعَ أَمْـرًا دُونَكَ، وإنْ كُنْت تريدُ به مُلكًا ملـكْنَاكَ عَلْينَا، وإنْ كَانَ الَّذى يأتيكَ رئِيًّـا تراهُ لاَ تَسْتَطيعُ دفعهُ عَنْ نَفسكَ طَلَبْنَا لَكَ الطبَّ وبذَلْنَا فِيهِ أموَالَنَا حَتَّى نُبرئَكَ منْهُ.

فقَـال لهمْ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم: مَـابِى مَاتقوُلونَ، مَاجـئْتُ بِمَا جِئـتكُمْ بِهِ أَطلبُ أموَالَكُمْ وَلاَ الشَّـرفَ فِيكُمْ ولاَ المُلْكَ عَليْكُمْ، وَلكـنَّ اللهَ بَعثنِى إلِيْكمْ رسُولاً، وأنزلَ عَلىَّ كتابًا، وأَمَرَنِى أَنْ أكونَ بَشيرًا وَنذيرًا، فَبلَّغتكُمْ رِسالاَتِ رَبِّى، ونَصحْتُ لكُمْ، فإنْ تَقبلُوا منِّى ماجئْتكُمْ به فَهُوَ حَظُّكم فِى الدُّنَيا وَالآخِرةِ، وإنْ تَردُّوهُ عَلَىَّ أَصبْرْ لأَمر اللهِ حَتَّى يَحكمَ اللهُ بَيْنِى وبَيْنكُمْ.

وكَانَ منْ هذه المفَاوضَاتِ أَنْ طـلَبُوا منْ أَبِى طَالبِ عَمِّ النبِّى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ أَنْ يُسلِّمـهُمْ مُحـمدًا لِيَـقْتلُوهُ، عَـلَى أَنْ يُعْطُوهُ بدَلاً منْهُ وَاحدًا منْ أَجَـملِ شَبَابِهِمْ جَمـالاً، وَأَقْواهُمْ صِحَّةَ بَدَنٍ، فكانَ ردُّ أبى طالب عَليهِمْ أَنْ قَـالَ: بِئْسمَا رَأَيْتُمْ، أَتَطْمَعُونَ أَنْ أُعْطِيكُمْ وَلَدِى، تَقْتلُونَهُ، وَتُعْطُونِى ولَدكُمْ لأَغذوَهُ لكُمْ.

قَالوُا لَهُ: إِذَنْ كُفَّ ابْنَ أَخِيكَ عَنَّا.

فـذهَبَ أَبُو طَالبٍ إلَى النَّبـىِّ صَلَّى اللهُ عليْـه وسلَّم يُعِـيـدُ مَطَالِبَ قُـريشٍ وَاقْتراحَاتِهمْ، فقَالَ عَليْه الصَّلاةُ والسَّلامُ:

«والله يَاعَمُّ، لَوْ وَضَعُوا الشَّمسَ فِى يَمِـينى وَالقَمرَ فِى يَسَارِى عَلَى أَنْ أَترُكَ هذَا الأَمْرَ مَا أَنَا بِتارِكِه حَتَّى يظهرَهُ اللهُ أَوْ أَهلكَ دُونَهُ».

لَقدْ كَانَ فِى رَدِّ النَّبى ﷺ المثَلُ الأعْلى للثَّباتِ عَلَى المبدأ وَالرُّكُونِ إِلَى الحقِّ، مَهَما كَانَتِ المغْـرِيَاتُ، ومَهْمَا كَانَتِ الصُّعوبَاتُ والعَقَـباتُ أيْضًا، إنَّها رِسَالةُ الله، وَاللهُ قَدْ تكفَّلَ بحفظِها وحمَايتِها حتَّى تَبلغَ غَايتهَا، مصْداقًا لقولِه جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿**إِنَّا لَننْصُرُ رُسُلَنَا والَّذين آمنُوا فِى الحيَاةِ الدُّنيا ويَوْمَ يَقُومُ الأَشْهادُ**﴾.

ولَقـدْ صَدَقَ اللهُ وَعْـدَهُ، ونَصرَ نَبـيَّهُ والَّـذينَ آمَنُوا مَعَـهُ، وَجَاءَ نَصْـرُ الله وَالفَتْحُ، ودَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ أَفْواجًا، وَلاتزَالُ الدَّعوةُ الإسْلاميَّةُ، بِقيادَةِ نَبيِّها صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم، وبجهَـادِ أصْحابِه وأتْباعِهِمْ وأَتْباعِ أَتْبـاعِهِمْ، لاَتزَالَ قَائمةً، لاَ يضـرُّهَا مَنْ خَالَفَـها، ولاَ يُطفِئ نورَهَـا مَنْ أَبغَضَـها إِلَى أنْ يَقُـومَ النَّاسُ لِربِّ العَالمينَ.

ولْنُعِدْ تِلاوَةَ تلكمُ الآيَاتِ مِنْ سُورةِ الحِجْرِ:

﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾** ﴾.

صدقَ اللهُ العظيمُ

وَإِلَى اللقاءِ يَاأَبْنائِى فِى القصَّةِ التَّاليةِ (٦٩) وَعُنوانُها: (**ويَخْلُقُ مَالاَ تعْلَمُونَ**)

أسئلة القصة

س ١ ـ كَيفَ بدأَ الوَحْى عَلَى النَّبى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ، وأين كَانَ عِنْدَ لِقاءِ جبريلَ عليهِ السَّلامُ بِهِ أولَ مَرَّة؟ وماذَا كانَ يَفْعَلُ فِى هَذَا المكانِ؟

س ٢- لِماذَا كَانَ الوَحْىُ بوسَاطَة جبرِيلَ عليْه السَّلامُ، ولمْ يكنْ مُبَاشِرًا مِنَ اللهِ بكلامٍ يُلقيهِ فِى صدْرِ النبىِ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ؟

س ٣- مَاذَا فـعَلَ النَّبىُّ عليهِ الصَّـلاةُ والسَّلامْ بَعْدَ تَلقِّـيهِ الوَحْىَ منْ جِـبريلَ؟ وَماذَا قَالَ لخديجةَ رَضِىَ اللهُ عنها وبِماذَا أَجَابَتْهُ؟

س ٤-مَا الَّذى عَرَفْتَهُ عَنْ وَرقةَ بنِ نَوْفلٍ، ومَـاذَا كانَ رأْيُهُ فيما أُنزلَ عَلى النبِّى عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ؟ وَمَا الَّذِى تمنَّاهُ عندما سِمعَ كَلامَ النبىِّ صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّمَ؟

س ٥- هَلْ عاش وَرَقَةُ كَثيرًا بعدَ لقائِه بالنَّبِّى عليهِ الصَّلاةُ والسُلامُ؟

س ٦- كيفَ كـانَ بَدءُ الدَّعوةِ الإسْـلاميَّـةِ، ومَا المكَانُ الَّذى كَـانَ يَلتقِى فـيهِ المسْلمُونَ؟

س ٧- هَلِ استَـمرَّتِ الَّدعوةُ سراًّ وقـتًا طويلاً، وماذَا حـدَثَ بعدَ هذهِ المرحلَةِ السرِّيةِ؟

س ٨- كَيْفَ جمعَ النَّبى صَلَّـى اللهُ عليْه وسلَّم النَّاسَ ليسمَعُـوا دعَوتَهُ، ومَاذا قَالَ لهمْ؟

س ٩- هَل استْجابَ النَّاسُ لِدَعْوة النَّبى فَوراً؟ ومَنْ قَريبُهُ الَّذِى سخَرمنْهُ؟ وَمَنْ قَرِيُبهُ الذى كانَ يحْميه، وهوَلايزَالُ مشرِكًا؟

س ١٠- مَاذَا كَانتْ نتيجَةُ الجهْرِ بالدَّعوَةِ، وكيفَ كَانَ استْقبالُ النبى، وأَصْحابِه لهذِه النتَّيجة؟

س ١١- كَانَ فِى رَدِّ الـنبِّى صَلَّى اللهُ عليْه وسلَّم على عـمِّه أبى طالب جُـملةٌ مَشهورةٌ فى السيرةِ النبـويَّةِ تدلُّ علَى قُوةِ الثَّباتِ عَلَى المبَدأ، اذكرْ هذه الجملةَ.

س ١٢- وَعَد اللهُ الرسُلَ والمؤمِنينَ بالنَّصرِ فى الدُّنيَـا والآخِرَةِ، اذكر الآيةَ الَّتى تَدلُّ علَى ذلك.

درس النحو

المعرفةُ والنكرَةُ

ذكرنَا فى أول هذه الدُّروس أنَّ الكَلاَمَ ينقسمُ إلَى ثَلاثة أَقْسامٍ هِيَ: الاِسْمُ والفِعْلُ والحْرفُ، وأوضَحنا عَلاَمَةَ كُلِّ قسْمٍ منْ هذه الأَقْسَامِ الثَّلاثَةِ.

وفِي هذَا الدَّرس نَذكرُ شْيئًا خَاصًّا بالاَسمِ، هُوَ تَقْسِيمُهُ إلَى معرفةٍ وَإلَى نِكرَةٍ، فالمعَرفةُ هى اللفظُ الذى يَدلُّ علَى معيَّنٍ، وأَقْسَامُهَا خَمسةُ أقْسامٍ.

القسمُ الأولُ: الضَّمائر، مثلُ: أَنَا، أنْتَ، نَحْن، هُمْ، هُمَا، هنَّ، إلَى آخر هذه الضمائرِ الَّتِي تدلُّ علَى المتكلِّم أو المخاطَبِ أو الغَائب.

القَسمُ الثَّانى من المعرفَة هُوَ: العَلَمُ، وهوُ مَا يَدلُّ علَى مُعَّينٍ دُونَ أنْ يحتاجَ إلى شيء يعيِّنهُ أو يدلُّ عليْه أكثَر منَ النطق به، مثلُ: خالدٌ، محمدٌ، إسَماعيلُ، فهذه أسماءُ أعْلام دلَّتْ علَى أصحَابِها دونَ احْتياج لقرينةٍ، وَمنْها أيْضًا أسْماء المدنِ، مثلُ: مكةَ، بغدادَ، دمشق، طنطاَ، دسُوقَ، إلخ.

القسمُ الثَّالثُ: الاسمُ المبهمُ، وهو اسم الإشارَة، والاسمُ الموصولُ، أمَّا اسْمُ الإشارة فهوَ ما وُضِع ليدلَّ علَى معيَّنٍ بواسطةِ إشَارَةٍ حسِّيةٍ أو معْنويةٍ، مثلُ: هذا، هَذه، هَذاَن، هاتَان، وهؤُلاء.

وَأما الاَسمُ الموصَولُ: فهوُ مايدلُّ علي معَيَّنٍ بواسطة جُملة أَوْ شبهَها تُذكرُ بعدهَ وتسمَّى الصِّلة، وَتكونُ مُشتملةً عَلَى ضميرٍ يطابِقُ الموصَولَ ويسمَّى العَائد، مثلُ الذى، والَّتى، واللَّذان واللَّتان، والَّذين واللَّاتى.

القسمُ الرَّابعُ: الاسمُ الذِى فيهِ الألفُ واللاَّمُ: مثلُ: القَاهرةُ، القطارُ، المدينةُ، القدسُ، الشجرةُ، إلخ.

والقسمُ الخامسُ: الاِسمُ الذى أُضِيفَ إلى واحدٍ من هذه الأرْبعةِ، فاكتسب التعرِيفَ بتلكَ الإضَافَة.

أمَّا النكرةُ فغيرُ ذلكَ، وَهى كُلُّ اسم شَائع فى جنسه لاَ يَختصُّ به وَاحدٌ دُونَ آخرَ. ولكىْ يكونَ ذلكَ قرَيبًا إلى ذَهنكَ نَقولُ أنَّ النكرة هىَ كَلُّ مالْيس فيه ألفٌ ولامٌ، ولكنْ يَصلحُ دخولُ الألف واللام عليْه، مثلُ فرسٌ وكَتابٌ وشجرةٌ، ورجلٌ، فهذه كلُّها نكرات يصلحُ دخولُ الألفِ واللاَّم عليْها، فيقالُ: الفرسُ، والكتابُ والشَّجرةُ والقطارُ، والرجلُ.. وهكذاَ..

سلسلة
أطفالنا في رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة

١- الفاتحة أم الكتاب
٢- خليفة الله
٣- يا بنى إسرائيل
٤- بقرة بنى إسرائيل
٥- هاروت وماروت
٦- بيت الله
٧- قبلة المسلمين
٨- وقاتلوا فى سبيل الله
٩- طالوت وجالوت
١٠- قدرة الله
١١- امرأة عمران
١٢- وإذ قالت الملائكة يا مريم
١٣- ابنة عمران
١٤- عيسى فى السماء
١٥- نصر الله
١٦- اختبار الله
١٧- حياة الشهداء
١٨- صلاة الحرب
١٩- الأرض المقدسة
٢٠- قابيل وهابيل
٢١- مائدة من السماء
٢٢- هل يستوى الأعمى والبصير
٢٣- إبراهيم يبحث عن الله
٢٤- بنو آدم والشيطان
٢٥- أصحاب الجنة وأصحاب النار
٢٦- نوح عليه السلام وقومه
٢٧- هود عليه السلام وقومه
٢٨- صالح عليه السلام وقومه
٢٩- لوط عليه السلام وقومه
٣٠- شعيب عليه السلام وقومه
٣١- موسى عليه السلام وفرعون والسحرة
٣٢- قوم موسى وقوم فرعون
٣٣- موسى عليه السلام وبنو إسرائيل
٣٤- بنو إسرائيل عبدوا العجل
٣٥- سفهاء بنى إسرائيل
٣٦- موسى عليه السلام والأسباط
٣٧- ضحية الشيطان
٣٨- دفاع عن الرسول
٣٩- وعد الله
٤٠- توزيع الغنائم
٤١- قوة الصابرين
٤٢- أسرى بدر عتاب وفداء
٤٣- يوم الحج الأكبر.
٤٤- يوم حنين.
٤٥- عزير آية الله للناس.
٤٦- الشهور العربية والأشهر الحرم.
٤٧- وإذ يمكر بك الذين كفروا.
٤٨- لا تحزن إن الله معنا.
٤٩- المنافقون فى المدينة.
٥٠- خذ من أموالهم صدقة.
٥١- مسجد التقوى ومسجد الضرار.
٥٢- المسلمون فى ساعة العسرة.
٥٣- الثلاثة الذين خُلِّفوا.
٥٤- والله يعصمك من الناس.
٥٥- القرآن يتحدى.
٥٦- وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر.
٥٧- يا بنى اركب معنا.
٥٨- يوسف عليه السلام فى غيابة الجب.
٥٩- يوسف عليه السلام السجين المظلوم.
٦٠- سر قميص يوسف عليه السلام.
٦١- لقاء الأحبة.
٦٢- ثم استوى على العرش.
٦٣- حتى يغيروا ما بأنفسهم.
٦٤- زمزم نبع الأنبياء.
٦٥- مقام إبراهيم مصلًّى.
٦٦- ونبئهم عن ضيف إبراهيم.
٦٧- أصحاب الأيكة.
٦٨- فاصدع بما تؤمر.
٦٩- ويخلق ما لا تعلمون.
٧٠- وعلامات وبالنجم هم يهتدون.
٧١- رياحين البيوت شقائق الرجال.
٧٢- التى نقضت غزلها.
٧٣- سبحان الذى أسرى بعبده.
٧٤- فتية آمنوا بربهم.
٧٥- صاحب الجنتين.
٧٦- موسى عليه السلام والعبد الصالح.
٧٧- ذو القرنين.
٧٨- يا يحيى خذ الكتاب بقوة.
٧٩- واذكر فى الكتاب مريم.
٨٠- ذلك عيسى ابن مريم.
٨١- واذكر فى الكتاب إسماعيل.
٨٢- واذكر فى الكتاب إدريس.
٨٣- وكلهم آتيه يوم القيامة فردا.
٨٤- الوادى المقدس طوى.
٨٥- وجعلنا من الماء كل شيء حى.
٨٦- النار بردا وسلاما.
٨٧- حكمة سليمان عليه السلام
٨٨- وأيوب إذ نادى ربه.
٨٩- يونس عليه السلام فى بطن الحوت.
٩٠- سليمان عليه السلام وملكة سبأ.
٩١- موسى عليه السلام القوى الأمين.
٩٢- قارون وعاقبة المفسدين
٩٣- زيد... هو ابن حارثة.
٩٤- الأحزاب وجنود الله الخفية.
٩٥- جنات سبأ وجزاء الكفور.
٩٦- وفديناه بذبح عظيم.
٩٧- بيعة الرضوان وصلح الحديبية.
٩٨- جنة الدنيا ومتاع الغرور.
٩٩- أصحاب الأخدود والثابتون على الإيمان.
١٠٠- للبيت رب يحميه.

تطلب جميع منشوراتنا من وكيلنا الوحيد بالكويت والجزائر
دار الكتاب الحديث